

الخاتمة

ويبقى السؤال؟ هل هناك ما يبعث على الأمل في عالمنا الذي افترست الحروب والطغيان أحلامه؟!

وللإجابة يعجبني قول عطاء الله السكندري: "ربما أفادك في القبض ما لم تستفده في إشراق شمس البسط".

المعاناة خبز الحياة، وكل أزمة خبرة يجب أن لا ننظر إليها على أنها الشحوب أو النهاية، كيف يمكن أن تشرق الشمس دائما دون أن تغيب، دائما بعد الظلام يأتي النور. ليل هذه الأحزان والحروب والتشرد والعوز سينجلي. إرادتنا كفيلة بتحقيق سعادتنا، ماذا يجدينا لو غرقنا في مآسينا؟ أو أنهك الدمع مآقينا! وحدهم المتفائلون هم الذين يغيرون الواقع، حتى وإن كان الواقع مأساوي. كل إنسان قادر على نيل السعادة إذا حَكَم عقله وتمسك بالفضيلة، ولكن نحن نتعس لأننا نريد أن تأتينا كل الأمور جاهزة. ليتنا نكون مثل الطيور ترحل مع مطلع النهار ولا تجمع من الغابة الثمار ولا تدخر للترحال نقود.

أصبحت على يقين بأن السعادة ليست إلا الفكر الراقي المتحرر من العلائق المادية الخائقة؛ ولا شيء أكثر من الفكر المتوجه نحو المطلق الروحي يستطيع أن يحمي الإنسان من السقوط والمخاوف.

الفكر المتصلب أو المتحجر هو الخطر الأكبر. والتضليل الذي يعتمد هؤلاء في مناهجهم هو خلف الكوارث والمصائب، لم يعد الفكر فكر إنساني هادف للخير، ولكنه بات اليوم فكر التسويق والتلق أصبح فكر الأنانية الذي يحمل صاحبه على أن يدوس الناس ويسحقهم كي يصل إلى مآربه الخسيسة، أصبح

فكر الهيمنة الاستعمارية، والجدل العقيم لصرف النظر عن الحقائق الموضوعية، وضياح الوقت في المهاترات. أين هو الفكر الذي يرشد الناس في شؤون الحياة؟ السعادة ليست ببقاء الإنسان جاهلاً متعامياً عن ما يحصل، فالجاهل الذي اختار أن يبقى في الظلام لا يستطيع أن يحكم على الأمور بتعقل، وكلما كانت الأحكام مزاجية وغير واقعية وغير منسجمة ، كلما كانت عائناً أمام تحقيق الخير والاستقرار والسعادة.

لا شيء يمنح السعادة أكثر من الخير؛ "إن اعتبار الخير الحاضر يثير في نفوسنا الفرح، كما أن اعتبار الشر يثير الحزن، وذلك حين نتصور هذا الخير أو هذا الشر كأمر خاص بنا. .. فإن الخير الذي حققناه بأنفسنا يعطينا رضا داخلي، هو أعذب كل الانفعالات، في حين أن الشر يثير الندم وهو أمر كل الانفعالات".¹¹³

"الفرح هو انفعال للنفس مبهج... يأتي من الاعتقاد بأننا نملك خيراً معيناً. وأما الحزن فيأتي من الاعتقاد بأننا نملك شراً أو سوءاً أو نقصاً".¹¹⁴

¹¹³ - انفعالات النفس ص 49.

¹¹⁴ - نفس المرجع انفعالات النفس ص 62 - 63.